

الحلقة الخامسة

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، وأكّدت على سلطانه الإلهي.

صديقي المستمع، ما هو هدفك في الحياة؟ إن هدف معظم الناس (إن لم يكن كلهم) الأول في الحياة ليس تأمين معيشتهم فقط، بل وجمع المزيد والمزيد من المال. هل تعلم مستمعي أن الأمور التي يسعى إليها الإنسان ويهتم بها تمتلك فكره وتسيطر على قلبه؟ قال المخلص المسيح في هذا الصدد ما يلي: «لَا تَكْنُزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الْأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلْ اكْنُزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لَا يُفْسِدُ سُوسٌ وَلَا صَدَأٌ، وَحَيْثُ لَا يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلَا يَسْرِقُونَ، لِأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا» (بشارة متى ٦: ١٩-٢١).

دعانا المخلص المسيح في هذه الآيات المقدسة أن لا يكون هدفنا الأوحده هو أن نجمع الثروة هنا على الأرض. وقد وضع المخلص المسيح أمامنا سببين لذلك. السبب الأول: هو عدم ضمان ما نجمعه من ثروة. لأنه قد يفسد. وفي لغتنا المعاصرة قد يفقد المال قيمته، بسبب الانهيار الاقتصادي، فنخسر الكثير. وأيضاً لأن السارقين لابد أن يسعوا لكي يسرقوا ما جمعناه من ثروة. أي لا يوجد أي ضمان أو أمان لأية ثروة نجمعها. وهكذا نفقد ما جمعناه في لحظات معدودة.

أما السبب الثاني الذي ذكره المخلص المسيح هنا، وهو ما نريد أن نركز عليه في لقاءنا هذا فهو: أنه حيث يكون كنزنا هناك يكون قلبنا أيضاً. بمعنى أنه إذا كان هدفنا هو أن نجمع الثروة هنا على الأرض، فهذا يعني أن قلوبنا لابد أن تتجذب وراء هذا المال، وتصبح متعلقة به. وهكذا يغدو المال هو معبودنا الوحيد الذي نهتم به. بينما إذا سعينا لكي نكنز للسماء فإن قلوبنا ستتعلق بهذا الكنز الذي يبقى إلى الأبد.

مستمعي الكريم، إن المخلص المسيح عندما دعانا لكي لا نكنز كنوزاً على الأرض، أو أن لا يكون اهتمامنا هو جمع الثروة هنا على الأرض، فهو لم يكن يقصد أن لا نعمل من أجل تحصيل لقمة العيش لنا ولأسرتنا. لأن العمل هو سنة الحياة. لكن الذي أراده

المخلّص المسيح هو أن لا يكون جمع الثروة والمال هو هدفنا الرئيسي الوحيد، وأن نسعى إليه بكل الوسائل حتى الفاسدة أو الملتوية منها. لأن هذا سيجعل قلوبنا تتعلّق بالمال فقط، ويمنعنا من رؤية الهدف الأسمى لحياتنا الذي خطّه الله لنا. ولهذا دعانا المخلّص المسيح لكي نكنز للسماء، أي للحياة الأبدية الباقية. لأن هذا الكنز السماوي لن يفسد أبداً، ولن يستطيع اللصوص الوصول إليه، فهو محفوظ في السموات من أجلنا. وعندها تتعلّق قلوبنا بهذا الكنز الحقيقي. لعل السؤال الآن هو: ما هي نوعية هذا الكنز؟ وهل يمكن للإنسان أن يكنز للسماء؟

إن نوعية هذا الكنز السماوي الذي تحدّث عنه المخلّص المسيح هنا، لا بد أن تختلف عن الكنوز الأرضية المادية الفانية. فهو ليس كنزاً مادياً لكنه كنز روحي. لأن الأشياء المادية بالطبع لا نستطيع ادخالها إلى السماء أو الحياة الأبدية، على عكس ما قد يتصوّر البعض. ولهذا نستطيع القول أن نوعية هذا الكنز السماوي هي نوعية روحية، يتميّز بقيمته الغالية جداً، وثمرته الكبير.

ولقد شبّه المخلص المسيح مرّة ملكوت السموات «بكنزٍ مخفّى في حفلٍ، وجده إنسانٌ فأخفاه». **وَمِنْ فَرَحِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذَلِكَ الْحَقْلَ** (بشارة متى ١٣: ٤٤). إن هذا الكنز الثمين جداً إذن هو ملكوت الله، أو الخلاص الأبدي الكامل. وعندما يحصل الإنسان عليه، يكون قد كنز فعلاً في السماء. ويصبح قلبه متعلقاً بهذا الكنز الثمين الذي لا يستطيع تقديره بثمن. ولهذا نجده يضحّي بكل شيء في حياته مقابل هذا الكنز.

لعلّ السؤال الآن هو: كيف بإمكان الإنسان الحصول على هذا الكنز الثمين؟ إن أوّل خطوة تجاه هذا الغرض تكون بأن يعترف الإنسان أنه خاطئ ويقرر التوبة عن خطاياها. ثم يؤمن بالمخلّص المسيح الذي أرسله الله من السماء لهدف فداء البشرية. أجل، لقد أرسل الله المخلّص المسيح لكي يفدي البشر أجمعين. ولهذا مات المسيح على الصليب، كفّارة عن خطية البشر، أي مات عوضاً عنّا نحن البشر الخاطئة، أخذاً عقاب خطايانا. ثم قام من بين الأموات غالباً منتصراً، لكي يهبنا الحياة الروحية الجديدة والخلود.

وكل من يؤمن اليوم بعمل المسيح الكفّاري هذا على الصليب، يغفر الله ذنوبه مهما كانت كثيرة، ويبدّل حياته، ويجعله خليفة جديدة، ويصبح من أولاد الله. ويتأكد أنه قد نال الحياة الأبدية. نعم، هذا هو الكنز السماوي الثمين الذي يجب أن يحصل عليه كل إنسان، وعندها يصبح قلبه متعلقاً بهذا الكنز. وعندما يحصل المرء على هذا الكنز، يكون قد كنز لنفسه في السماء، كنزاً لا يضمحل ولا يفنى، لكنه يبقى إلى الأبد.

فهل تود مستمعي أن تحصل على هذا الكنز السماوي الذي لا يقدر بثمن؟ أو لا ترغب أن يكون لك نصيب في هذا الكنز الذي يقدمه لك الله مجاناً وبدون أي مقابل؟ اسمع ماذا قال المخلص المسيح مرة: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي، فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا. لِأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَجَعَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطَى الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنِ نَفْسِهِ؟» (بشارة متى ١٦: ٢٤-٢٦).

أجل، ماذا ينتفع الإنسان لو ربح كل كنوز العالم وثرواته، وخسر في النهاية نفسه؟ لهذا عليه أن يکنز لنفسه في السماء، عن طريق التوبة والإيمان بالمخلص المسيح. فهو الوحيد الذي يمنح الإنسان الغنى الحقيقي الذي يثبت إلى الأبد. وعندها يكون قلبه أيضاً هناك، أي في المكان الصحيح حيث كنزه.